امَّا القانون الماسوني الذي ختم بهِ المجلة (ص ٤٠) في ١٥ بنداً ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً · فهذه خلاصة الوقائـع الماسونية وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرَّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمَّد علي بن علي بن محمَّد عزّ الدين الشامي العاملي

هذه الرسالة منشئها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريَّة ثمَّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمَّا ابتدأت الحركة الماسونيَّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام. وقد اوقفنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنَّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص ٤:٢٦–٣٠) ونقلنا عنها أتفًا فرأينا ان ننشرها هذه المرَّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لثقة المسلمين الذين يخدعون بهذه العشيرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلَّى الله على نور الانوار وصفوة الجبَّار محمَّد وآله الابرار وصحبهِ الاخيار. وبعد طالما وقع النزاع واضطـرب الفكر وقضي بالعجب في قضيَّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون. فمن الناس من يزري عليهم ويتَّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبُّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم. والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجهٍ لا يمكن الاطّلاع عليهِ الَّا لمن دخل مجالسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجهٍ يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات : احدهـا انَّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلَّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانَّ ذلك من الجهـل المركّب لانَّ صاحبهُ

يفعل فعلَ العالم وهو جاهل. قال الله تعالى في ذمّ قوم (سورة النساء): «ما لهم بهِ من علمٍ الّا اتباع الظنّ إنْ هم الّا يظنّون إنْ هم الّا يخرصون» وقال تعالى (سورة الاسرى): «لا تقفُ ما ليس لك بهِ علم انّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنهُ مسئولًا» . وقال عالمٌ لجماعة من اصحابهِ: «ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فها» واومأ بيدهِ الى فيهِ

(ثانيًا) انّ القيل والقال وهتك أعراض الرجال غير جائز عقلًا ولا شرعًا الّا لمظلومٍ بُغِي عليهِ او لإقامة أمرٍ دينيٍّ كالكلام على ضالٍّ بيّن الضلالة تريد دفعهُ عن ضلالهِ . اما عقلًا فلأنّهُ ظلمٌ بلا داعٍ موجود وكلّ ظلم عند العقل حرام واماً شرعًا فلقولهِ تعالى (سورة الحجرات): «لا يغتَبْ بعضكم بعضًا أيحبُّ احدكم ان يأكل لحم اخيهِ ميتًا فكرهتموهُ» . الى غير ذلك ممّا نصّتْ عليهِ الكتب السماويّة وصرّحت بهِ السنن النبويّة

(ثالثًا) انّ دفع الضرر المظنون واجبٌ والمحتملِ حسنٌ عند العقل . مثلًا اذا وجدتَ في طريقك واديًا وأخبرك مُخبِر انّ فيهِ سباعًا مؤذية ولك مناصٌ عنهُ بارتفاعك في سفح او سلوك طريق آخر فانّهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الآخر وهذا دفعُ الضرر المظنون . واذا لم تجد من يُخبرك واحتملتَ ذلك من نفسك فانّهُ يُحسن عقلًا سلوك السفح او الطريق الآخر لتحقّق السلامة وهذا دفع الضرر المحتمل . (فان قلتَ) أليس من اصولك أصالةُ الاباحة وردّ قول كلّ من يدّعي التحريم وتروي انّ كل شيءٍ لك حلال حتّى تعلم الحرام بعينهِ وكلّ شيءٍ لك مطلق حتّى يرد فيهِ نهيٌ وبهذا استحللتم قهوة البنّ وشرب الدخان وغير ذلك من الحادثات بعد النبوّة . (قلتُ) ولكنْ ذلك فيما لا ضرر فيهِ بل وفيما لا يُظنّ فيهِ الضرر بل وفيما لا يُحتمل فانّهُ ايّ شيءٍ حصل من ذلك يقطع الاصل فلا يجوز أكلُ شيءٍ من الاعشاب التي يُخشى منها السمّيّة او نحو ذلك من الادواء المضرّة

(رابعها) ان ماهيّة هذه الطريقة على التمام لا يمكن ان تُعلم الّا لمن دخل في ذلك الامر وانتظم في سلكهِ وانّما الذي نعرفهُ على وجه الاجمال كما تواتر النقل بهِ عنهم وعن غيرهم انّ لهم مجلسًا يجتمعون فيهِ وفيهِ او في داخلهِ محلٌّ للسرّ وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط وان كان لهم مجالس في غيرها ولكن ليس

فيما محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن (١ فمن اراد الدخول يكتب الى مجلس الجمعيّة يستأذن فاذا وصلت كتابتهُ سألوا مَن يثقون بهِ منهم او من غيرهم اذ لا يقبلونهُ الّا اذا كان عاقلاً غنياً من ذوي البيوت فلا يقبلون من كان مجنوناً او مغفّلاً او غير موثوق بهِ في تعقّلاتهِ ولا مَن كان من السَّفَلة ولا من كان فقيراً لاسيما اذا كان يطلب هذا الامر لفقرهِ ولا يلتفتون الى شيءٍ وراء ذلك من مذهب او عدالة او صناعة او غيرها . فاذا شهد عليهِ بذلك جماعةٌ وختَم الشهود على اسمهِ أُذن لهُ فيقدّم قبل دخولهِ مبلغاً من الدراهم قيل اقلّهُ اثنا عشر ذهباً ثمّ يُرَسم عليهِ تقديم ذهبٍ واحد كلّ سنة . وهذه الدراهم موضوعة في الصندوق يُعمل بها كباقي البنكات ويُصرَف الناتج في مصالح مجلس الجمعيّة وفيما اذا احتاج احد من تلك الطريقة وقصدهم بل وربّما اعطوا مَن استعطاهم من غيرهم على حسب احوال اهل الشيم (٢

ثم بعد دخول هذا المجلس ينقطع العلم عن الذي دخل في الطريقة ولا يُعلم ما يصنع ولا ما يُصنَع بهِ من غيٍّ او رشادٍ صلاحٍ ام فساد واذا خرج وسُئل لا يبدي شيئاً ولو قُطع رأسهُ . فلا ادري أهو مجرَّد امان منهم لكتم سرّهم وهو في غاية البُعد ام لأَيمانٍ او عهود تؤخذ عليهِ او لعمل يربط على قلبهِ ولسانهِ كالرصد او امرٍ ذلك . ونقل لي جماعة عن بعض ثقاتهم انّهُ يؤخذ عليهم من الأَيمان المغلّظة والعهود كلٌّ حسب مذهبهِ ولا يقدر ان يبدي شيئاً من السرّ . ولكن كم سمعنا ورأينا من عهد نُبذ ويمين انتُقض ومجامع تفرّقت ومواثيق تمزّقت . نعم هم قد يستحلّونهُ ويسعون في ضررهِ ولكن ذلك لا يرفع الإشكال فكم دخل في هذه الطريقة مَن لا يخاف الضرر من ملكٍ ذي صولة لا يخشى من احد او غريب منقطع لا يدري اين يذهب والله اعلم بحقيقة الحال وكيف كان فلم نرَ لهذه القضيّة فائدةً سوى ما هو ظاهر من الائتلاف بينهم والتحابب كما هو شأن اهل الطرائق او ازيد منهُ حتّى انّ هذه الطريقة لتسمّى بالاخويّة هذا غاية ما اطّلعنا عليهِ من ماهيّة هذه الطريقة وغايتها

(خامسها) انّ هذه الطريقة لم نجد لها اثراً في الشرائع المقدّسة ولا كتبها الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ولا في اخبار احد من الرُّسُل واوصيائهم . وما يُنقل عن بعض اهل هذه الطريقة من أنها من اوضاع سليمان بن داود عليهِ السلام فلم نجد لهُ

١) قال هذا قبل انشاء المحافل المختلفة ٢) الكرّم الماسوني اعزّ من بيضة الديك

اثرًا ولعلّه تمويه. على أنها لو كانت من آثار سليمان لكان ذكرها في الكتب المقدّسة من اهمّ آثار سليمان وداود المذكورة فيها واهمّ من ذكر إرَم ذات العماد المذكورة في القرآن ومن قصّة راغوت واستير ونشيد الانشاد المذكورة في العهد القديم ...

اذا عرفت هذه المقدّمات اتّضح لديك ان هذه الطريقة مجهولة الماهيّة لا يُدرى ما كنهها ولا ما فيها صلاحٌ او فساد ضلالٌ او رشاد وهل هي سحرٌ او شعبذة او نحوها من التمويهات او امور حقّة وحيث الحال ذلك وانّ اهلها لا يتفوّهون ببنت شفة ولا يظهرون امرًا من امورهم لغيرهم فلا يجوز الكلام عليهم ولا لهم بوجه من الوجوه لا بقدح ولا بمدح الّا على ما ظهر منهم(١ كما نعرف ذلك. امّا القدح فلأنّه مجرّد غيبة وانتهاك عرض بشيء هو مخرّص وقد عرفتَ المنع منهُ في المقدّمة الثانية وامّا المدح فما هو الّا مجرّد تكلّم بما لا يعني وإتعاب اللسان والجنان بما هو رجم بالغيب يمدّك العقلاء فيه مكثارًا تقول ما لا تعلم وتتكلّم بما لا يُفهم وذلك جهل مركّب وقد وضح لك قبحهُ في المقدّمة الاولى. وان بقيت مهتمًّا في اصل القضيّة يدعوك الوسواس الى الاطّلاع عليها فان كنتَ تحاول الاطّلاع على كنهها من دون الدخول في سلك اهلها كنتَ محاولًا للمحال كما عرفناكهُ في المقدّمة الرابعة (١

على أنك لو أعرتني سمعك لأرحتُك فاقول لك انّهُ لا داعي الى الاهتمام بهذه القضيّة ولا إتعاب الفكر فيها لأنها ليست داعية لامر ديني(٢ فانّا نرى الداخلين فيها على اختلاف مذاهبهم باقون على ما هم عليهِ من التديّن بدينهم فقد دخل بيت الفرمسون في عصرنا هذا جماعة من المسلمين والنصارى وغيرهم من الفروق وخرج كلٌّ على ما هو عليه لم يتغيّر عن حالهِ في الظاهر (٢ من مذهبهِ في التفكّر في ذلك وطلب النفس اياهُ الّا من باب «المرء حريصٌ على ما مُنع» وهذا ليس من شأن العقلاء بل العاقل لا ينبغي لهُ ان يشغل نفسهُ الّا بما يهمّهُ من امر دينهِ ومعادهِ وشيءٌ يسير هو بلاغ من امر معاشهِ. فتنتج من ذلك انّ إهمالها احرى وترك النظر فيها اجدى على انّهُ كم من مغطّى لو كُشف لانكشف عن اضحوكةٍ او مكروهٍ وكم من شيءٍ حقير

١) هذه الظواهر قد تعدّدت اليوم بما نشروهُ في كتبهم السرّيّة التي شاعت على الرغم منهم او ضبطت بين ايديهم مع ما كشفهُ المرتدّون عنها فكاد لم يبقَ شيء محجوب من احوالهم (ك.ث.)

٢) بل الغالب على الداخلين في الماسونيّة مروقهم عن الدين ومعاداة الاديان كما اثبتنا

تعطّلة الافئدة والابصار للجهالة بكنهٍ فاذا عُرف صُغّر وندم طالبهُ على طلبه . وان كنت تريد الاطلاع عليها بالدخول فيها والانتظام في سلك اهلها لإراحة الفكر من تعب القلب فعلى رسلك ما أهونَهُ لولا خطر الطريق

دونك امورًا عقلية وشرعيّة يجبان تعتبرها . امّا (اولًا) فلما ذُكر من عدم معرفة ماهيّة الفرمسون وغايتهم وكلّ طالب شيءٍ مع عدم معرفة ماهيّته وغايته طالبٌ جاهل راكبٌ في ذلك مّتْن عمياء خابطٌ خبط عشواء . (فان قلت) كفى من الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب واخراجها من ظلمة الجهل الى نور العلم . (قلتُ) إراحتُها في الإعراض عن الخطر اولى وكلُّ عاقل اذا رأى شيئًا لا يدري حالهُ رأى الإعراض عنهُ اجدر فاذا أدخل فيه نفسهُ وكان فيه شيءٌ مما يلوم نفسهُ عليه كانت جنايتهُ على نفسه واوقعها في أعظم مما فرَّ منهُ . ولقد بلغنا عن بعض عوامّ بداوة العجم انّهُ دخل السوق ليأكل فعرض عليه الطبّاخ شيئًا من ورق العنب المحشو بالارز واللحم فقال بالفارسيّة : « اذا لم يكن ثمّة حيلةٌ فلا معنىً لهذه اللفلفة » . وامّا دعوى اخراج النفس من الجهل الى العلم فهي خدعة وَسْواسيّة كدعوى بعض الوساوس الى تعليم السّحر والشعوذة وغيرها مما يكون فسادًا او بطالةً بل تعليمُ أمثال ذلك اجدر بالنفس والقادم عليها قادم على بصيرة بخلاف ما نحن فيه

(فان قلتَ) الفائدة ظاهرة وهو تحصيل الاخوّة والتحابب . (قلتُ) نعم هذه الفائدة لعلّها حاصلة ويمكن ان تكون من الاستخدام او الرصديّة ولكن لا يحسن الدخول لاجلها مع عدم العلم بالماهيّة والسمّ القاتل في لين الافاعي . ثم نقول زيادة على ذلك انّ الفائدة تحصل بادنى سبب ولا حاجة الى النظم في هذا السلك الذي لا يُدرَى نوعهُ ولا جنسهُ والدخول في هذا الامر الذي لا يُعرف وجهُ الخروج منهُ . والراعي لا يُورد إبلهُ الّا حيث يعرف مصدرها فما اقبح الانسان الذي اطلق الله سبحانهُ قلبهُ وجعلهُ وإنْ صغر حجمهُ ليسع ما في السماوات والارضين ان يغلقهُ ويربط عليه ويقصرهُ على جهة واحدة وصحبة شخص واحد او اشخاص احسنوا او اساؤوا !

أما (ثانيًا) فلما ظهر لك في المقدّمة الثالثة عدم جواز المخاطرة بالنفس وحسن تجنّبها عن كلّ ضرر مظنون او محتمل لاسيّما وليست هي الّا نفس واحدة . وانت في دخولك هذا البيت مع تصميم اهله على عدم إظهار ما فيه كالداخل على بيتٍ يُحتمل فيه وجود

عقارب تلدغ وحيّات تلسع واسود تبلع فانّ العقل يأبى دخوله وان احتمل وجود كتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تتشعشع . (فان قلتَ) ارى الداخلين فيها عقلاء . بل لا يدخل في هذا الامر سوى ذوي العقول ولا اراهم ينكرون على انفسهم شيئاً . (قلتُ) وما يدريك ولعلّهم ابتُلوا فصبروا وأُخذ على قلوبهم كما أُخذ عليها في إخفاء الاهيّة . على انهُ كيف يصحّ لك ان تتأسّى بهم لمجرّد عقلهم وهـل يُبتلى بالامور الكبار والدواء المضال الّا العقلاء ؟ وهل تعد ابليس مجنوناً ام تعدّ احداً من النصارى والمسلمين وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حدّ العقلاء ؟ مع انّ كلّ طائفة منهم تجهّل الاخرى ؟ وهل ظهور العقل من شخص حاجزٌ عن الخطإ ؟ كلّا لا يقول بهِ جاهل فضلًا عن عاقل

أمّا (ثالثًا) فانّا نقول لمريد الدخول في هذا البيت عرّفنا مذهبك فان كنت لستَ من اهل الكتب السماويّة كالملحدة والزنادقة وعبدة الاوثان فاصنع ما شئت لانّ ما انت فيهِ اعظم من كلّ عظيم فاذا اردت الشفاء فداوِ جُرحك الاخطر . وان كنت من اهل الكتب السمويّة كالمسلمين والنصارى واليهود قلنا لا يسوغ على شريعتك ان تدخل هذا البيت وكلّ من دخلهُ قبلك من اهل ملّتك غافل عن وجه المنع لانهُ قد يخفى على العلماء منهم فضلًا عن الجهلاء .

ولنتكلم على طريقة المسلمين اوّلًا فنقول انّ هذا البيت لا يُمنع منهُ احد من اهل النِّحَل لنحلته واكثر اهلهِ من الهند مجوس خارجين عن الملل الثلاث . وحيث صحّ ذلك وكان هذا البيت ممّا يدخلهُ الملحد والموحّد فكيف تدخلهُ أيها المسلم اذ لم يظهر لك منهُ الّا الاخويّة وهي لا تجوز في مذهبك وقد قال لك ربّك جلّ وعلا على لسان نبيك عم (سورة الممتحنة) : «ما جعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً» . وايضاً اذا حصل جهاد دخلتهُ ما تصنع لو تواقف الصفّان من المسلمين والمشركين وكنتَ في صفّ المسلمين وكان في صفّ المشركين او بعضهم ممن دخل هذا البيت فان قاتلتهم بطلت الاخويّة التي لا فائدة لك غيرها وان لم تقاتلهم ورميتَ سلاحك تركتَ مذهبك الذي اوجب عليك الجهاد وكتابك الذي يقول (سورة التوبة) : «قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم» . وايضاً اذا فعل اخوك المسلم ما يوجب الحدّ من زنى او سرقة او قتل وامرك إمامك وسلطانك بجلدهِ او قطع يدهِ او قتلهِ وكان

ممّن دخل هذا البيت فما تصنع ؟ ان فعلت بطلت الاخويّة وان تركت خالفتَ وليَّ امرك الذي قال لك الله في حقّه (سورة النساء) : « أطيعوا الله ورسولهُ وأولي الامر منكم » وربك الذي قال (سورة النور) : « الزاني والزانية فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة » وقال (سورة المائدة) : « السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والنفس بالنفس » . وغير ذلك ممّا وجب عليك من اقامة الحدود . وايضاً اذا دعاك الاخ الفرموني لطعامهِ وكان ممّن يبيح لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك ممّا لا يباح لك في مذهبك ولم يكن في السفرة طعام يُباح لك فان لم تُجبهُ فاين الاخوية وان اجبتهُ تركت دينك وخالفت شريعتك

ولو اردتَ ان اسرد عليك هذا واشباههُ لطال المجال واتّسع المقال وفيما ذُكر مُقنعٌ لكل ذي بال . (فان قلتَ) املٌ مبني هذه الاخويّة على الامور الدنيويّة وامّا الدينيّة فلا بل يبقى كلٌّ على ما يوجبهُ مذهبهُ والمسلم لا يناكح المشرك ولا يأكل مما حرم عليهِ في مذهبهِ ولا يُصلي بصلاتهِ ويقاتلهُ على الدين ويقطعهُ ويقتلهُ للحدّ الى غير ذلك وبالعكس . (قلت) على ذلك تكون الاخويّة جمليّةً اصطلاحيّة والمحبّة ظاهرةً قشريّةً لا تستأهل خسارة مال ولا دخول في مجهول ولا اتعاب فكر ولا غير ذلك ممّا يوحش قاصدي هذه الطريقة ومثل هذا يحصُل باقلّ من ذلك ولا كلفة ولا استيحاش . فانَّ ما هو حاصلٌ بين جملة من الدُّول في عصرنا هذا من المدنة والتحابّ والنعرة على بعضهم بعضاً والاتحاد حتى كأنَّ الجميع دولةٌ واحدة آكدُ من الاخوّة الفرمسونيّة على هذا التقدير ما عدم اخفاء شيءٍ من الامور موجب التهمة وشغل الفكر والمودّة الحاصلة من اهل كلّ دين مع بعضهم بعضاً بل اهل كل بلاد بل اهل كل جامع من حرفة او عمل آكد وآكد

وبالجملة ايها المحتذي قل ما شئت وقدّرْ ما اردت ان كانت هذه الاخويّة على النحو السابق فهي تُبيح حمى الشريعة والخروج عن جملة من احكام الله الذي انزلها على لسان نبيّهِ صلعم وآلهِ فان قصدتَها وادخلتَ نفسك فيها خالفتَ بل ألحدتَ ولا خيرَ بخيرٍ بعدَهُ النار ولا شرَّ بشرٍ بعدهُ الجنّة . وان كانت على النحو الثاني ذهب تعبك ضياعاً ولا ادري لك فيها فائدة وهل هي اذ ذاك الّا مُداهنة ومحبّة كاذبة ودعوى غير صائبة ويا ليت شعري هل تريد شرفاً وعزّاً يزيدك من شرف

الاسلام وعزّه او اخواناً غير مَنْ تصطفيهم للدين. ولعلهُ قد يجول في خاطرك ما لو اردت ابداءهُ لتقطّعت نفسك حسرات بل خنتَ من الحيطان وقلتَ: لها آذان. وارتمت من شمارك ودثارك. وليلك ونهارك. وهو انَّ الزمان قد خان. وخلا المكان من الخلّان والاخوان. والملوك لا يعبأون بالصعلوك. والعمّال في اغفال والقضاة مشتغلة بالرشوان والناس عبيد الدنيا والفخار. يدورون مع الدرهم والدينار. والدين في الساق يلفّ الساق بالساق لم يبقَ منهُ الّا صبابة كصبابة الماء في قعر الاناء. وذبالة جفّ عنها الدهن فيُحتاج في حفظ الجاه والعرض والمال والدين الى مداهنة الشياطين فضلًا عن الاناسين والدخول الى بيت محظوظ عاقل او مجنون فضلًا عن بيت الفرمسون الذي شرّفهُ الملك بانبليون وغيرهم ممّن يقومون في العزّ ويقعدون ويرتعون في الشرف ويمرحون. (فاقول لك) لا الومك لو عرفت الماهيّة وامنت الغائلة وذلك موقوف على الدخول والدور باطل عند اهل المعقول. وقد جاء في آثار النبوّة: « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وجاء ايضاً: « حلالٌ بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات أمن من الهلكات » . وجاء ايضاً: « اخوك دينك فاحتطْ لدينك » ومن حكم الشعر:

ونفسك فاكرم عن دور كثيرة ... فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها

على انَّ ما شكوتهُ من احوال الزمان هيّن عند اهل الهمّ واظنّك منهم وما مصائبهُ عندهم الّا خدش. انظر الى قائدهم كيف يقول:

فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤهُ ... وبتُّ أريهِ الصبرَ كيف يكونُ

والى قول الآخر:

فيا نفس قرّي انّما الدهر ساعةٌ ... ويا دهر هوّنْ حسبك الموتُ ميدانا

وهل الدنيا الّا دار زوال واهلها ... كركبٍ عرّسوا ساعةً ثمَّ ارتحلوا

وفي ... دع الدنيا ولا تركن اليها ... فزخرفها سيذهبُ عن قليلِ

وان ضحكت بوجهك فهو منها ... كضحكِ السيف في وجهِ القتيلِ

ولا آلوك نصحاً دَعْ طلب الجوهر من الباعة الكذّابين في الاسواق بالاثمان الغالية الكاذبين عليها لنفاقها واطلبها من معادنها ومن يُعطيها مجّاناً اجلّ عليك وارفع للتهامة عنك وارفق بك واوثق لك. اطلب الشرف والعزّ من الله الذي لا يمنع سائلًا ولا يبخل بنائل ولا يمنّ على عطيّة فلقد قال وهو اصدق القائلين (سورة آل عمران):

«ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤتهِ منها . ومن يُرِد ثواب الآخرة نؤتهِ منها» . وقال جلَّ وعزَّ (سورة الطلاق) : «ومن يتَّقِ الله لا يجعل له مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب ومن يتوكَّل على الله فهو حسبهُ انَّ الله بالغُ امرهِ قد جعل الله لكلِّ شيء قدرًا» وقال عزَّ وجلَّ من قائلٍ (سورة العنكبوت) : «والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم والله مع المحسنين»

وحيث عُرف الحال على طريقة المسلمين فاعلم انَّ مثلهُ جارٍ في اهل الكتاب من النصارى واليهود فانَّ اقامة الحدود ونحوها من الاحكام في الحلال والحرام والموالاة في الله والمعاداة في الله ممَّا يشترك فيهِ الجميع وان اختلفوا في الالهيَّات والشروط . والتوراة والانجيل لاسيَّما الاولى مملوءان من ذلك ان اردتهُ فراجعها خصوصاً في سفر الاحكام من التوراة بل احكام التوراة اصعب من احكام القرآن . ولولا خوف الملل لأوردتُ عليك جملةً من ذلك . وكذا ما دلَّ عليه العقل من عدم جواز المخاطرة بالنفس والدخول في مجهول وحسن تجنُّب ما يُظَنُّ فيهِ الضرر

ثمَّ اقول لليهوديِّ : اذا كنت ممَّن دخل بيت الفرمسون وجاءك بعض من دخل هذا البيت مسلم او نصراني او مجوسيّ ودعاك يوم السبت الى مهمٍّ او عملٍ لا يمكن تأخيرهُ عن ذلك اليوم فان لم تُجبهُ فسدت الاخوَّة وان اجبتهُ عطلت سبتك وهتكتَ دينك . وعلى هذا قِسْ غيرهُ من الاحكام المختصَّة باليهود . فان قلت ليست اخوَّة توصل الى ذلك قلنا لك ما قلناهُ للمسلمين حرفاً بحرف

واقول للمسيحيِّ : اذا كنتَ في صفِّ القتال وامرك البطريق وكان بين العدوِّ بعض من دخل هذا البيت فان قاتلتهُ بطلت الاخوَّة وان تركت وخالفتَ رئيس مذهبك الذي تطلب خلاص نفسك بطاعتهِ نقضت دينك . وعلى هذا تُقاس بعض الاحكام التي تختصُّ بالنصارى وممَّا تقدَّم ثبت انهُ واجب على المسيحيِّ ما يجب على المسلم واليهوديِّ من التوقُّف عن الدخول في هذا الامر المجهول وسبحان واهب العقول . والحمد لجلالهِ اوَّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطناً وصلَّى الله على انبيائهِ ورسلهِ وتابعيهم الى يوم الدين آمين

وكان ختام هذه الرسالة البديعة عصر نهار الجمعة ثاني شوَّال المبارك سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) والحمد لربِّ العالمين وصلَّى الله على سيِّد المرسلين وآله الاطيبين

المذاهب المستحدثة

لفلاسفة الاعصر المتأخرة

لحضرة الخوري يوسف المشبّق

تمهيد

كنّا نشرنا قبل الحرب الكونيّة كتابنا المتون بالاجوبة السديدة الذي وقع موقع الاستحسان لدى القرّاء وقد خطر على بالنا ان نلحقهُ بقسم آخر تتمةً كتتمّة لهُ . على أنّنا رأينا قبل نشره ان نقدّم عليهِ كتمهيد بحثاً عمومياً في المذاهب المستحدثة التي شاعت في الاعصر الاخيرة ننشرهُ في مجلّة المشرق فنذكر شيئاً من تاريخ تلك الاضاليل ومصادرها وزعمائها وما احدثتهُ من النتائج الوبيلة الى غير ذلك ممّا يُعدّ المدخل لأبحاثنا في كلّ مذهب على حدةٍ مع تفنيده

لا مشاحّة في انّ لا أُلفة بين روح الله وروح العالم . ومن ثمّ لا عجب في انّ الكنيسة لم تخلُ في كلّ عصر من اعداء الدّاء أصلوها الحرب العوان . فما كادت تنتصر في الاجيال الاولى على اضطهادات الوثنيّة التي كانت تتعقّب الاجساد حتّى قام بعض العاقّين من ابنائها وطفقوا يمزّقون احشاءها باضطهاد روحي اشدّ خطورةً واكثر تأثيراً من اضطهاد القياصرة ولاسيّما في الجيل الثامن عشر حيث نهض لمقاومتها كثيرٌ من المتفلسفين الملحدين وشرعوا يضاعفون حملاتهم على الدين المسيحيّ وتعاليمهِ . فقضي على الكنيسة ان تقف أمام كلّ فئة من هؤلاء المبتدعين

اجل لقد قام في كل جيلٍ وعصرٍ ملحدون كثيرون حاولوا أن يشوّهوا جمال التعاليم المسيحية بما تحرّوهُ من إنكار بعض الحقائق وأتوه من التفاسير التي لا تنطبق البتّة على حقيقة التعاليم الالهية لكنّهم مع ذلك لم يزالوا يعتقدون بعض قضايا الايمان وما انفكّوا يمارسون بعض فرائض الدين على خلاف ارباب الفلسفة المستحدثة الذين لم يكشفوا للكنيسة وجهَ عدواتهم فقط بل حاولوا ان يمحوا كلّ أثر ديني من القلوب بما لفّقوهُ واختلقوهُ من المبادئ السفسطيّة التي املتها عليهم اهواؤهم واوحاها اليهم روح

العتوّ والتيه . وقد كان لمولا. في مذهب جِنْسانيوس (١ ما مهد لهم السبيل لتحقيق أمانيهم لان تعاليم لوثاروس في الانتخاب والاختيار المعتوق والنعمة كتعاليم كلوينوس التي تنسب الشرّ لله جلّ جلاله ومبادئهما بخصوص السلطة قد أحيت جميع اضاليل من تقدّمهما وأهبت العقول للكفر والعصيان بحيث اصبحت تلك التعاليم اساس الفلسفة المستحدثة في الجيل الثامن عشر . ففي حضن المذهب البروتستاني نشأ فرنسوا باكون (١٥٦١—١٦٢٦) فمهّد الطريق للاباحيين ثمّ قام بعده توما هوبس (Hobbes) (١٥٨٨—١٦٧٩) وتندال (Tindall) (١٦٥٧—١٧٣٣) اللذان جاهرا بالكفر والزندقة . وقام في هولندة اليهودي باروك سبينوزا (Spinosa) (١٦٣٢—١٦٧٧) فانكر الوحي . واشتهر في فرنسة بيار بايل (P. Bayle) (١٦٤٧—١٧٠٦) بمذهب الريب واللاأدريّة . ومنذ ظهر لوثاروس في المانية انتشرت في انحائها آراء الفلسفة الكاذبة ، فنفث كثيرون من البروتستانت سمّ اضاليلهم في ما لفّقوهُ من المبادئ المنافية على خطّ مستقيم جميع الحقائق الاساسيّة ففتحوا باباً واسعاً لمذاهب ناكري الوحي والاباحيّين والمستريبين والوضعيّين والماديّين وقد تسرّب شيء من هذه المزاعم الى بعض الكاثوليك كالقانوني بيار غسندي (P. Gassendi) (١٥٩٢—١٦٥٥) ورينه ديكرت (R. Descartes) (١٥٩٦—١٦٥٠) وبلاز بسكال (B. Pascal) (١٦٢٣—١٦٦٢) ونقولا مالبرنش (N. Malebranche) (١٦٣٨—١٧١٥) وغيرهم ايضاً

فينتج اذن انّ أصول الفلسفة المستحدثة قد نشأت خصوصاً في البلاد التي شاع فيها الاصلاح البروتستاني الموهوم اعني انكلترة والمانية وهولندة فنقضوا اساس التعاليم الدينية وانحازوا الى اوهامهم الباطلة وكان في مقدّمتهم الانكليزيّون لوك (N. Locke) (١٦٣٢—١٧٠٤) وصموئيل كلارك (S. Clarke) (١٦٧٥—١٧٢٩) وكولنس (Collins) (١٦٧٦—١٧٢٩) فتاهوا في بيداء الضلال وتحاملوا على الدين

١) جنسانيوس او كرنيليوس جنسن (C. Jansen) ولد في هولندة سنة ١٥٨٥ وتوفي سنة ١٦٣٨ اشتهر باضاليله في حقّ النعمة والحرّيّة البشريّة اودعها في كتابه المعنون باوغسطينوس مدّعياً زوراً أنّها من تعاليم القديس اوغسطينوس المعلّم الشهير . وقد رذل تعاليمهُ الاحبار الرومانيّون اسكندر السابع واوربانوس الثامن واكليمنضوس الحادي عشر

المسيحي ونددوا بتعاليم الكنيسة ولم يلبث روح عدائهم ان تسرَّب الى فرنسة حيث انتصر لتعاليمهم ڤولتير (١ وروسُّو (٢ واصحاب القاموس العام (٣ الذين شرعوا مذ ذاك الوقت ينشرون مبادئهم الفاسدة وتعاليمهم الكفرية مستندين الى بعض اصحاب المقامات العالية فبثُّوا روح العداء ضد ارباب الدين وضد الكنيسة والجمعيات الرهبانيَّة وعلى الخصوص الطغمة اليسوعية التي اشتهرت بعلمائها الافاضل ومرسليها الغيورين الذين وقفوا إزاء تلك الاضاليل وفندوها بالبيّنات القاطعة والحجج الدامغة . وقد كان ڤولتير اشد زملائهِ عداء لهذه الجمعية المقدسة التي كان تخرَّج على معلّميها واقرَّ بفضلهم لكنَّهُ اضطرَّهم الى طردهِ من مدرستهم وهذا ما كتبهُ لاحد اصدقائه هلفاسيوس قال : « يهمُّنا ان نسعى اوَّلًا في الغاء الرهبنة اليسوعية وعندئذٍ يتيسَّر لنا الغاء الدين المسيحي » وهذه لعمر الحق اكبر شهادة من اعداء ابناء يسوع تدلُّ على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في الدين المسيحي والتربية

١) اسمهُ فرنسوا ماري أروِه (F. M. Arouet) ولد في باريس سنة ١٦٩٤ وتوفي فيها سنة ١٧٧٨ قضى حياةً سياسيَّةً غايةً في الاضطراب حتَّى أُلقي غير مرَّةٍ في السجن ونُفي لوقاحتهِ وخلاعتهِ ثم رفع لواء الكفر في زمانهِ ولم يحترم شيئًا مقدسًا . وكتبهُ مشحونة بالاكاذيب التاريخيَّة والادبيَّة والدينيَّة الَّا القليل منها (طالع ما حدث لهُ قبل وفاتهِ بكتابي الاجوبة السديدة ص ٣٦ و ٣٥)

٢) جان جاك روسُّو (J. J. Rousseau) وُلد في جنيف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٧٨ كان ابواهُ بروتستانيين وصرفَ ايَّام شبوبيَّتهِ بمطالعة القصص الخياليَّة وكتب الملحدين . وكفى بذكر تآليفهِ الموسومين بالمعاهدة الاجتماعيَّة (Contrat Social) وباميل (L'Émile) تتويجًا بغرابة عقله وتطرُّفهِ في الالحاد وفساد قلبهِ

٣) القاموس العامّ معجم علميّ وتاريخي واجتماعي اتَّفق على تأليفهِ في اواسط القرن الثامن عشر عدَّة كتبة عُرفوا باسمهِ فدعوا اصحاب القاموس العام (les Encyclopédistes) وكانوا عصبةً من دُعاة الفلسفة المستحدثة تشاوروا في كتابة موادّهِ وانما كان بالواقع مجموعًا للاضاليل والغرابات والمثالب ضدّ الدين فأصبح مستودع اسلحة الكفر لمعاداة كلّ الاديان . وقد كان لديدرو (D. Diderot) (١٧١٣–١٧٨٤) ودالمبر (d'Alembert) (١٧١٧–١٧٨٣) اليد الطولى في انشائهِ . واشترك في تأليفهِ معهما زنادقة من جنسهما كڤولتير وروسو وكنديلياك (E. Condillac) (١٧١٥–١٧٨٠) وهلفاسيوس (Helvétiurs) (١٧١٥–١٧٧١) وللالماني هولباك (D. Holbach) (١٧٢٣–١٧٨٩) ودوبنتون (L. Daubenton) (١٧١٦–١٧٩٩) ومرمونتيل (J. F.Marmontel) (١٧٢٣–١٧٩٩) وبوفون (G. Buffon) (١٧٠٧–١٧٨٨) ومونتسكيو (Montesqieu) (١٦٨٩–١٧٥٥)

والآداب . ولكن لسوء الحظ لم يلبث نفوذ هـذه الشرذمة من ارباب الفلسفة المستحدثة أن انتشر بين العامة والخاصة حتى في قصور ملوك اوربا بما تذرعوا به من الحيل واتخذوه من الاسباب الهينة فقامت قيامة هؤلاء على المعاهد الدينية وخصوصاً على الرهبنة اليسوعية التي دافعت دفاع الابطال عن حقائق التعاليم المسيحية مفندة اضاليل الفلسفة الكاذبة ومبيّنة ما ينجم عنها من الاخطار العظيمة على المملكة والدين والوطن بما لا يدع مجالاً لمرتاب مما اوغر صدور اولئك الخدعة فازدادوا حقداً وغضباً واخذوا يثيرون الخواطر ضد الجمعية المذكورة ويشوّهون بالدسائس والمؤامرات حتى تمكنوا اخيراً من حمل ملوك اوربا على اضطهاد هذه الفئة من اهل البرّ ظلماً وعدواناً . ففي البرتغال قام لمناصبتها الملك يوسف الاول منقاداً لوشاية وزيره كرفاليو المعروف بپمبال (Pombal) الذي كان ينسب لها المؤامرة ضد شخص الملك !! . وفي فرنسا نهض لمقاومتها الملك لويس الخامس عشر منقاداً لوشايات وتحرضات وزيره شوازيل (Choiseul) وعشيقته پومبادور (de Pombadour) اللذين تمكنا اخيراً من الحصول على امر من الملك تلقى آباء هذه الجمعية من مملكته ومنعتها في الوقت عينه الاحكام التي كانت اصدرتها المجالس بشأنهم فأبطلها الملوك لظلمها

وفي اسبانية قام الامير درَاندا (d'Aranda) صديق شوازيل وزير فرنسا واخذ يحرّض الملك ويغريه على طرد اليسوعيين من مملكته أسوة بفرنسا والبرتغال وما لبث المذكور يعمل الحيل على شارل الثالث حتى استحصل منه الاذن بطردهم . ففي شهر نيسان سنة ١٧٦٧ احاط جنود الملك في ليلة واحدة وساعة واحدة بجميع اديرة اليسوعيين في اسبانية وطردوهم بعد ان ساموهم خسفاً ونكّلوا بهم اشد التنكيل

وما حدث في اسبانية قد حدث في نابولي وصقلية وبارما ومالطة ما خلا مملكتي روسيّة وبروسية اللتين مـا انفكّتا عن معاملة هذه الجمعية الفاضلة بالحسنى إقراراً بفضلها وما لها من الخدم الجلى والآثار المشكورة

واما غاية هذا الاضطهاد فقد ابانها صريحاً البابا اكليمنضوس الثالث عشر في رسالته الصادرة في اول تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . « ان اعداء الدين يعلمون حسناً أن لا نصرة لهم ولا فوز إلّا بتدمير هذه الجمعيّة المقدسة التي هي حصن الدين القويم»

على ان البعض من اصحاب الفلسفة المستحدثة ممّن مرقوا من الدين لم يقفوا عند هذا الحدّ من بثّ روح الثورة بين العامّة والخاصّة واضطهاد الجمعية المشار اليها بل توفقوا اخيرًا في هدم هذا السدّ المنيع بواسطة اعوانهم ولاة ذلك العصر الذين طلبوا الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر الغاء الرهبنة اليسوعية تحت حجج فارغة وتوعّدوهُ باضطهاد الكنيسة ومناوأتها إلَم يُجب طلبهم واتحد لهذه الغاية شوازيل في فرنسا وامير نابولي وحاكم بارما ووزير اسبانية وكرڤاليو في البرتغال واستولوا على عدة اماكن من املاك الكرسي الرسولي واخذوا يواصلون طلبهم تارةً بالمجاملة وطورًا بالوعد والوعيد واحيانًا بالتهديد حتى اكرهوا البابا اخيرًا على اجابة طلبهم بالغاء هذه الطغمة الملائكية في براءته المؤرخة في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٧٧٣ تحت عنوان « Dominus ac Redemptor » وقد صار تنفيذ هذه البراءة في كل مكان على حياة الحبر المذكور الّا في روسيا وبروسية بناء على طلب ملكيهما اللذين كانا يُنزلان هذه الجمعية اعظم منزلة من الحب والاعتبار

بيد أنّ تلك البراءة بالغاء الجمعية اليسوعية لقد أتت باسوأ النتائج واوخمها لانّ الكنيسة بالغائها الجمعية المذكورة قد فقدت اكبر انصارها والدين افضل محاميه والعائلة البشرية احكم مهذّبيها ٠ ومذ ذلك الوقت خلا الجوّ لاصحاب الفلسفة الكاذبة فازدادت فلسفتهم انتشارًا وتأيّدت المذاهب الكفريّة فعمّ الشقاء وساد الشقاق وانتشرت الفوضى وقامت الثورات على قدم وساق ٠ اما البابا اكليمنضوس الرابع عشر فلم يكن يرتاح له بال بعد تلك البراءة بالغاء جمعية ابناء يسوع الذين كانوا ويشهد به الحق اعمدة الدين الكاثوليكي واكبر عضد للكنيسة كما كتب عنهم الاحبار الرومانيون والمؤرخون الصادقون من كاثوليك وغيرهم كثيرين لا يسعنا المقام ذكرهم (١

١) ويحسن بنا ان نذكر هنا ما كتبه العلّامة دي سيغور في محادثاته عن الرهبنة اليسوعية (ص٣٢ من مذكراته وجه ١٣٩) (de Ségur: *Causeries*, p. 139) « ان كلوين كان يعدّ ابناء يسوع من الدّ اعدائه وعليه لم يكن يقوى على اخفاء ما اضمره من الحقد والضغينة ضدّ هؤلاء بل كان يقول جهارًا: انه ينبغي التخلّص منهم ٠ وقد كتب بكل قحة لاحد اصحابه : اذا لم نتمكن من اهلاك هذه الفئة ينبغي على الاقل ان نسعى في طردهم وسحقهم بالأكاذيبنا ووشاياتنا

وقصارى الكلام قد كان من نتائج الفلسفة المستحدثة تفاقم الشرور وازدياد الثورات والمروق من الدين وثلّ العروش خصوصاً في فرنسا التي روّت ارضها بدماء

« Jesuitæ vero qui se maxime nobis opponunt aut necandi, aut si hoc commode fieri non potest, ejiciendi, aut certe mendaciis et calumniis opprimendi sunt »

على ان ابناء كلوين ومن بعدهم ابناء فولتير قد تلقّوا هذا التعليم بكل امنٍ وحرص ولم يكونوا يقصّرون في شيء مما ترك لهم اجدادهم من الوصايا والتعليمات بحق الطغمة اليسوعية. ونحن لا نحتاج الى تبرئة هذه الرهبنة الفاضلة مما قرَّفها به اعداؤها حسدًا وبغضًا بل ندع الكلام عنها لاشهر كتبة البروتستان واصدقهم كشول (Schœll) ورانك (Ranke). وهاك ما اجاب به ملك فرنسة هنريكوس الرابع ديوان الندوة واساتذة كلية باريس ردًّا على ما افترى به هولاء ضدّ الاباء اليسوعيين واتهموهم به: «اشكر اهتمامكم بشخصي وبما يعود الى تحسين حال المملكة. امَّا ما ذكرتموهُ من امر كلية سُربون مع اليسوعيين فليس فيه ما يؤثّم هؤلاء ويبرّر اولئك. لان احكام كليَّة سُربون بحق اليسوعيين لم تستند الى قواعد الحكمة والعدل لان اصحابها حكموا عليهم قبل ان يعرفوهم كما فعلتم انتم ولئن كانت كليَّة سُربون القديمة رفضتهم حسدًا فالحديثة تلقَّتهم بملء الاعتبار والتكريم واتخذتهم من اشهر وافضل اساتذتها. اما قولكم بان مشاهير علماء ديوانكم لم يتخرَّجوا عليهم ولم يأخذوا عنهم شيئًا فنسلّم به اذا كان المراد بهولاء العلماء الشيوخ الذين سبقوا عهد اليسوعيين في فرنسا. واذا كانت مدارسكم تعلّم احسن من مدارسهم فلِمَ اقفرت ولم تقم لها قائمة بعد مبادرة اليسوعيين لها؟ أو لم يلجأ الامر اخيرًا الى طلبهم وإرجاعهم في دواي (Douai) وبنتاموسون (Pont-à-Mousson) وخارج المملكة رغمًا عن الاوامر المشدَّدة التي اصدرتموها بطردهم والغاء رهبانيتهم؟. اما قولكم بانهم ينتقون من الاحداث امضاهم ذكاء وانضلهم عقلًا فقولكم هذا هو شهادة لهم لا عليهم. أفلسنا نحن نختار افضل الشبَّان واشجعهم لنجعلهم جنودًا يحمون ذمار المملكة والوطن وندفعهم لساحات الحرب. اما قولكم انهم يتداخلون في تدبير امورهم كما يستطيعون فذلك لا يحطّ بشأنهم بل هي حكمة لا تنكروها عليهم وانا ذاتي تسنَّمتُ العرش كما استطعت. إنما ما يذهلني جهم على الخصوص هو صبرهم وجلدهم واحتمالهم الذي يؤدي بهم الى تحقيق ما يرغبون

« اما قولكم بانهم مدقّقون بحفظ قوانينهم فهذا مما يؤيدهم ويثبتهم وفي الوقت عينه يزيدهم حظوةً بعيني واعتبارًا في قلبي وعليه لا اشاء ان ابدّل او اغيّر شيئًا من قوانينهم بل اريد المحافظة عليها. واذا وجد من الاكليروس من ينظر اليهم شزرًا فلا عجب فالجهَّال كانوا او يكونون دائمًا اعداء العلماء وعندما قصدت إرجاع اليسوعيين الى فرنسا لم يرُق ذلك بعين ذوي الاصلاح الموهوم واصحاب السيرة المتراخية من طبقة الاكليروس وهذا لَعَمر الحق ما ضاعف اعتبار هؤلاء الاباء الافاضل بقلبي » آه

ولم تكن نعجب نحن فيما اذا صادف اليسوعيون في كل عصرٍ اعداء الدّاء يحاولون الحطّ

ابنائها كما يؤيد ذلك تاريخ الثورة الفرنسيّة وساغويار في خطابه المشهور سنة ١٧٧٠ وجمال الدين الافغاني احد فلاسفة الشرق المشهورين في ردّه على مذاهب الفلسفة المنوه بها . ومما قال هو : ان البعض من هولاء الفلاسفة قد أسسوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وقد درجوا الاديان بين عداد الاوهام الباطلة . . وغرسوا بذور الاباحة والاشتراكية فسدت الاداب وقامت الثورات وعدمت السلطة نفوذها وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية . . لانّ الدين هو سلك النظام الاجتماعي وبدونهِ لا اساس للآداب والتمدن » . ومما لا ريبةَ فيه ان الفلسفة المستحدثة اضحت في ذلك الوقت مرسحاً للضلال : اضاليل علميّة وقوامها تشويش الافكار والقاء الريب في الحقائق الاساسيّة . واضاليل عمليّة وغايتها ثلّ العروش وهدم المعابد وقلب كل نظام وبكلمة واحدة إقامة مملكة الشرّ على انقاض مملكة الخير . فمن اضاليل الاولى نشأ مذهب العقليّين (le Rationalisme) اي ناكري الوحي في فرنسة والمانية ثم المذهب الوضعي (le Positivisme) ثم مذهب الاباحية (le Libéralisme) الذي اتى به بعض علماء الكاثوليك . ثم مذهب الاشتراكية (le Socialisme)

مذهب نكران الوحي الالماني . ان هذا المذهب المادي ينكر بتاتاً وجود النفس والارواح غير المنظورة . ومانويل كَنْت (١ احد المتصرين لهذا المذهب لم يقف عند حدّ نكران وجود النفس والعالم غير المنظور بل ينفي تحقيق وجود العالم المادّي ايضاً وهو يزعم ان الدين لا حقيقة له بل هو امرٌ وهميٌ لا يمكن اثباتهُ الى غير ذلك من الامور التي تدعو طبعاً الى الريب وقد أيد مذهب كَنْت فيكت (٢ الذي جاهر ان كل ما هو خارجٌ عن الفاعل المفكِر (le moi) هو وهميٌ لا حقيقة له . واما شالينغ (٣ فقد انكر الفاعل المفكِر وما ينسب الى الموضوع (٤ . واما

من كرامتهم بما يختلقون عليهم من القول الهراء والتهمات الباطلة لان الجهّال قد كانوا دائماً اخصام العلماء والاشرار اعداء الابرار . وبغض الجهّال والاشرار والكفرة والارائقة لابناء يسوع هو افضل شهادة على فضلهم وصلاحهم وبيّنة جلّى على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في عالم الدين والعلم

١) (Emmanuel Kant) ولد سنة ١٧٢٤ توفي ١٨٠٤

٢) (J. Fichte) فيلسوف الماني اخذ عن كَنْت وضع مناهجهُ ولد ١٧٦٢ توفي ١٨١٤

٣) (Schelling) فيلسوف الماني ولد ١٧٧٠ توفي ١٨٥٤

٤) ونعني بالفاعل المفكر Subjectif والموضوع Objectif

الفيلسوف الالماني هيغل (Hegel ١٧٧٠–١٨٣١) فليس احدٌ يجهل امره وامر ترَّهاته العلمية بخصوص صور نطق الحياة فهذا الفيلسوف اتى في مذهبه بامور متناقضة وهو يعتقد بوحدة الذات بين الله والمخلوقات وعدم الفرق بين الخير والشرّ وبين السلب والايجاب (النعم واللّا) الى غير ذلك مما سيأتي الكلام عنهُ في حينه

١ : مذهب (l'Hermésianisme) نسبة الى الكاهن الالماني هرمس (١ قد شاء هذا الفيلسوف تهذيب المعارف البشرية واصلاح الدين المسيحي على اسلوب جديد بالاستناد الى مدارك العقل البشري فقط وكان يزعم انه بهذه الطريقة الجديدة يخدم الدين الكاثوليكي افضل خدمة ويوفّق في الوقت عينه بين العقل والايمان ويزيل كل خلاف بين الفلاسفة لكنه هدم اساس العقائد الموحاة والتقليد العام الذي مشت عليه الكنيسة منذ نشأتها وقد كان لمذهب الكاهن المذكور تأثير عظيم في المانية فاتخذتهُ الكليات حتى المدارس الاكليريكية دستوراً للتعليم. ولما رأى البابا غريغوريوس السادس عشر ما اتى بهِ من الاضاليل حرَّم تآليفه بمنشوره الصادر في سنة ١٨٣٥ تحت عنوان Ad augendas وجدّد هذا التحريم بيوس التاسع ١٨٤٧

ب : وقد نشأ في المانيا عن مذهب نكران الوحي مذهبٌ اخر لم يكن اقلّ ضلالًا وخطورةً مما تقدّمهُ لان البعض من اولئك الفلاسفة لم ينكروا اليقين الفلسفي فقط بل تخطّوا الى نكران اليقين التاريخي ايضاً. وزعيم هولاء كان الدكتور ستروس (٢ الذي انكر حقيقة الاناجيل التاريخية فاصدر سنة ١٨٣٥ تأليفه المشهور الذي دعاه "حياة المسيح" زعم فيه بأن الاناجيل انما هي عبارة عن تصوُّرات شعرية وقصص خيالية لا يتمثّل بها شبه الحق وان من يدعونه المسيح انما هو خيال استعاره كتبة الاناجيل من الخرافات الوثنية وقصص اديانهم. وقد حذا رينان (٣ الفرنساوي

١) Hermes وُلد في مونستر ١٧٧١ توفي سنة ١٨٣١ ٢) David Strauss احد زنادقة الالمان. مؤلّف «الدروس في اصل الديانة المسيحية» وصاحب «حياة المسيح» ولد في ورتمبرج ١٨١٨ وتوفي ١٨٧٤ ٣) E. Renan ولد في تركوييار في ٢٧ شباط ١٨٢٣ ودخل مدرسة سان سولبيس الاكليريكية حيث درس الفلسفة واللغات القديمة وكان شديد الميل لمطالعة فلسفة الالمان وتآليفهم الجدلية مما ضعف به روح الايمان واخيراً ترك الثوب الاكليريكي وبعد ان تقلّب مدّة بين الشكّ واليقين نبذ دينهُ واعلن بكفره وقد فنّد علماء الكاثوليك آراءهُ الواهنة. توفي سنة ١٨٩٢

حذو ستروس ونهج منهاجهُ في تأليفه «حياة المسيح» التي حرَّم قراءتها مجمع فحص الكتب سنة ١٨٦٤

٢ : مذهب ناكري الوحي من الفرنسيس. ان طريقة فلاسفة الالمان لم تكن لتروق بأعين فلاسفة الشعب الفرنسيي الملحدين بل رأى احدهم كوزين (١ ان يلطِّف المذهب الالماني بخصوص الوحي فأتى بمذهب آخر هو اشبه شيء بمذهب الحلول فانكر اولًا الوحي بالمعنى الكاثوليكي واقام العقل حكماً فاصلًا بامور الدين ناكراً سلطة الكنيسة والاسرار والعجائب والانبياء خصوصاً سرّ التثليث والتجسُّد والفداء والنعمة وقد اطلق على مذهبهِ اسم مذهب الاختيار (٢ . وكان من انصار هذا المذهب جوفروا (Th. Jouffroy) (١٧٩٦–١٨٥٢) وداميرون (Damiron) (١٧٩٤–١٨٦٢) وقد حرَّم مجمع فحص الكتب قراءة تآليف كوزين المعنون تاريخ الفلسفة (١٨٤٥) والمجمع الفاتيكاني رذل جميع الاضاليل التي اتى بها المذكور في تعاليمه (١٨٧٠)

٦ : (le Positivisme) ان أول من انتصر لمذهب هوباك الالماني وهلفاسيوس المادّيين كان كابانيس (P. J. Cabanis) (١٧٥٧–١٨٠٨) وبروسه (Broussais) (١٧٧٢–١٨٣٨) ودوترابي (deTracy) (١٧٥٤–١٨٣٦) زعم هؤلاء ان تصوّرات الانسان انَّما هي نتيجة تأثُّرات دماغية. وان الخير والشر هما كلمات فارغة لا حقيقة لها. وبالجملة قد نسب هولاء كل معارفنا وتصوّراتنا الى المادَّة ومن هذا التعليم نشأ مذهب البوزتيفسمُ. وحقيقة هذا المذهب هو عدم التسليم بشيء الَّا ما يثبته الاختبار الحسّي والعلمي. وأولُ من ايد هذا المذهب كونت (Auguste Conte) (١٧٩٨–١٨٥٧) ونشرهُ باسم العقل والعلم ليتره (Emile Littré) (١٨٠١–١٨٨١) وتان (Hippolyte Taine) (١٨٢٨–١٨٩٣) وسانت بوف (Sainte-Beuve) (١٨٠٤–١٨٦٦)

ان هذا المذهب لا ينكر الامور الفائقة الطبيعة فقط بل النفس والعالم العقلي والادبي وقد اطلق عليه ارباب المدارس اللادينيَّة اسمَ التقدّم العقلي والنجاح العلمي

---

١) (Victor Cousin) ولد في باريس سنة ١٧٩٢ تقلَّب في عدة مناصب علميَّة ومدنيَّة وقد كان خطيباً وفيلسوفاً وكاتباً فصيحاً توفي في كان في ١٣ كانون ثاني سنة ١٨٦٧

٢) (l'Eclectisme) اي اختيار ما يراهُ حسناً في جميع التعاليم

وقد رشق المجمع الفاتيكاني تعاليم هذا المذهب بالحرم الشديد وببراءة السِّلّابوس «le Syllabus» المشهورة

ب : le Libéralisme مذهب الإباحية : نشأ هذا المذهب بين البعض من ابناء الكنيسة الكاثوليكية ولم تكن غاية اصحابه مناهضة الدين ومقاومة تعاليمه بل التوفيق بين العقل والايمان وبين الكنيسة والمذاهب المستحدثة . قد حرّم تعاليم هذا المذهب غريغوريوس السادس عشر ببراءته التي اولها «Mirari» سنة ١٨٣٢ وبيوس التاسع في منشوريه «Quanta cura» و «Syllabus» سنة ١٨٦٤

اول من جاهر بالمذهب المشار اليه كان لامنيه (١ الذي جعل العقل العام (ويريد به الرأي العام) مصداقاً على اليقين لينفي عن العقل الفرديّ المعرفة الاكيدة المتعلقة بعلم الكلّي والاداب وقد وهم المذكور انهُ سيتيسّر له إيقاف اضاليل عصره عند حدّها بما اختلقهُ من المبادئ فتعدّى في ذلك حدود الصواب ولكنّه لم يقف عند هذا الحدّ من مبادئه المغايرة بل شاء ان يجمع بين الحقيقة والضلال باطلاقه العنان للحرية البشريّة وقد انشأ تأييداً لمبادئه جريدته المشهورة التي دعاها « المستقبل » l'Avenir سنة ١٨٣٠ وقد حرّم كثير من اساقفة فرنسا مطالعة الجريدة المذكورة كما ان رومية رشقت بسهم الحرم الشديد تعاليم الاب المذكور ومن ثمّ انفصل عنه صديقاه لاكوردير (٢ ومونتالمبر (٣ ولم يكن لامنه ليقلع عن ضلاله بل ازداد قحةً ونشر تأليفه المشهور الذي حرمته الكنيسة «Les paroles d'un croyant» ١٨٣٤ . وقد حذا حذوَ لامنه الاب بوتن (Bottain) استاذ كلية ستراسبورج فحرمت الكنيسة تعاليمه لكنّه ما عتّم ان رجع عن ضلاله وقدّم للكنيسة خضوعهُ

ثانياً : اضاليل عمليّة . ان الاعمال تتبع عادةً الاعتقاد فمن ضلّ اعتقادهُ ساء عملهُ

(١ (Lamennais) ولد في بريتانيا من اعمال فرنسا سنة ١٧٨٢ وتوفي في باريس ١٨٥٦ وقد كان المذكور كاتباً بليغاً سريع الخاطر متوقد الذهن لكنّهُ شديد التمسك برأيه

(٢ (Lacordaire) وُلد في ١٢ ايار سنة ١٨٠٢ . كان اولاً محامياً دعاوى ثم ترك مهنتهُ ودخل المدرسة الاكليريكية بعمر ٢٢ سنة . تعرّف بلامنّه واخذ عنه ثم شاركه في تحرير جريدته لكنه افترق عنهُ عندما انفصل عن الكنيسة . وفي سنة ١٨٤٠ دخل لاكوردير بسلك رهبان القديس عبد الاحد وسنة ١٨٦١ نقله الله الى دار كرامته .

(٣ كان (Montalembert) (١٨١٠—١٨٧٠) خطيباً مفوّهاً وكاتباً بليغاً

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيات تحت اسم كنائس نذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيّة ولكنّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة. ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة الراهنة والحجج الصادعة . . .

معرض بيروت

نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ .

قد حان لنا بعد كلامنا العموميّ عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض الوطنيّة والدوليّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتيّ الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ ومميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّية والادبيّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كغُرّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيّة ولاسيّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيّة